عثور على عثار (١)

عثرتُ في معاجم اللغة على خطأٍ قديم عثرَتْ به أقلام النساخ ولا أقول المؤلفين فأحببتُ التنبيه اليه بالكلمة التالية : قلتُ لأديبٍ لغويٍّ مدققٍ من إخواننا : ما تقول إذا نقلتُ اليك عن معاجم اللغة ان خَلَجان العين واختلاجها قد فُسرا بطيرانها . وانه اذا قيل خَلجت أو اختلجت عينُ فلان كان المعنى أن عينه طارت . فتعجب الأديب من ذلك وسألني : أيُّ معجم يقول هذا ؟ قلت كل المعاجم الموثوق بها التي بين أيدينا : الصحاح ومختار الصحاح واللسان والقاموس . قال هذا خطأ يمكن الرجوع في تصحيحه إلى المخطوطات الأصلية لهذه المعاجم . قلت : رجعت إليها فوجدتها كالمطبوعات التي أخذت عنها : راجعت ثلاث نسخ من مخطوطات القاموس فوجدتها تفسر خلجت العين واختلجت بطارت اي بفعلٍ ماضٍ من الطيران . ومثلها مخطوطات اللسان والصحاح ومختار الصحاح المحفوظة في دار الكتب الظاهرية . بل رجعت أيضاً الى نسخة القاموس التي ترجمها الى التركية عاصم افندي فاذا هو كذلك يفسر خلجت العين واختلجت بطارت . ومن المعاجم الحديثة اقرب الموارد والبستان فانهما فسرا الاختلاج بذلك . ومن العجيب أنه ما من مؤلف من هؤلاء المؤلفين أو ناسخ أو مصحح أو مطالع علق على هذا التفسير ما يشير الى ارتيابه بصحته . قال الأديب : ولا الزَبيدي شارح القاموس قلت ولا الزبيدي . لكنه عقب على تفسير اختلجت بطارت بقوله : إن هناك من فسرها باضطربت . وهذه عبارته : (ومن المجاز خلجت العين تخلج خلجاً وخلوجاً وخلجاناً اذا طارت ومثله في الصحاح كاختلجت وتخلجت . وفسره غيرهما (أي غير صاحب القاموس وصاحب الصحاح) باضطربت . وقال شمر (بن حمدويه اللغوي) التخلج التحرك : يقال تخلج الشيء واختلج اضطرب وتحرك . ووقع في كلام الأقدمين العمومُ في العين وغيرها (يعني من أعضاء الجسد) فني اللسان خلجه بعينه وحاجبه غمزه . والعين تختلج

(١) قرئت هذه الكلمة في إحدى جلسات المجمع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أي تضطرب) انتهى كلام الزبيدي . ونقله لكل هذا بعد ان فسر صاحب القاموس الاختلاج بالطيران يُشعر بشيء من ريبةٍ بهذا التفسير . وكان عليه أو على شيخه ان يصرّحا بهذا الارتياب حسب عادتهما . والاّ فان تفسير اختلاج العين بطيرانها أمرٌ بدعٌ : إذ لو كان هذا التفسير حقّاً لكان من المتوقع ان يذكروا في مادة (ط ي ر) أن طارت العين يكون بمعنى اختلجت . ولم نرهم قالوا ذلك ولا نقلوه عن أحد . ولو قيل ان طيران العين مما يتجوّز به عن اختلاجها لكانوا ذكروا ذلك او ذكره الزمخشريُّ في أساسه . وهو لم يذكره . وكيف يذكره ولا علاقة بين طيران الطائر منتقلاً من مكان الى مكان وبين الاختلاجُ الذي هو اضطراب الشيء وهو باقٍ في مكانه وفي لهجاتنا العامية ننسب الطيران الى العين لكن لا بمعنى الاختلاج الذي هو الاضطراب وارتجاف الأجفان بحركةٍ اضطرارية بل بمعنى أنها إيفت وذهب نورها بالجملة وهو ما يريده عامة زماننا مذ يقولون ضربه على عينه فطارت أي عَورت . فهل يصحّ للصحاح ومن تابعه أن يفسروا الاختلاج بكلام عامة زمانهم على فرض أنهم كانوا يفعلون كعامة زماننا في استعمال طيران العين ؟

عندها قال أديبنا وما رأيك أنت في ذلك ؟

قلت رأيي أن كلمة (طارت) في مخطوطة الصحاح الأصلية أو غيرها من المصادر اللغوية القديمة هي محرفة عن (حارت) بالحاء المهملة وقد أخذت عنها المخطوطات الأخرى جيلاً فجيلاً ثم أخذت عنها المطبوعات . وذهب عن الشراح والمصححين الانتباه اليها أو التعليق عليها وتفسير خلجت العين واختلجت بفعل (حارت) هو الصواب والملائم للمعنى الأصلي الذي يفهم من المادتين مادة (خلج) و (حير) كما أنه متسق مع المعاني المجازية لكل من هاتين المادتين فإن معنى التردّد والتحرّك مع بقاء الشيء المتحرك في مكانه هو الذي يجمع بين مادتي (الخلج والحير) وينفخ فيهما من روحه .

خلج الشيءَ حرّكه . وأخلج حاجبيه حركهما . وتخلج الشيء تحرك واضطرب وفلان يتخلج في مشيته يتمايل . ويقال : لا يتخالجني في هذا الأمر شكّ اي تردّد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومثله تخالج في صدري شيء اي تردّد . ومنه سمي خليج البحر خليجاً في قول بعضهم : لأن الماء لا يجد فيه منفذاً ينسرب منه فيتردد ويضطرب في مكانه . هذا ما نستشهد به على مادة خلج أما مادة (حير) فكذلك اذ يقال :

حار الماء تردّد كأنه لا يدري كيف يجري . والحيران شبه حوضٍ يتحير فيه ماء المطر . وحار الرجل جهل وجه الصواب في الأمر فتردد في فعله أو تركه . والمستحير سحابٌ ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه . وحار الطرفُ يحار تردد . ومثله حار بصره كما في الأساس . والنظر يحار أي يتحرك ويضطرب . قال كعب بن جُعيل الشاعر الأموي :

تزين حتى تسلب المرءَ عقله وحتى يحار الطرف فيها ويسكرا

و (يسكر) من باب نصر بمعنى يحار ويضطرب أيضاً وفي المخصص عن صاحب العين (خرجت العين حارت وبرق البصر تحير فلم يطرف) فبناءً على هذا كله وجب ان يقال في تفسير اختلجت العين يقال تحركت وترددت في محجرها مع بقائها فيه لا منتقلةً منه وهذا المعنى نفسه هو الذي يفهم من كلمة حارت حقيقةً ومجازاً . فما وقع في المعاجم من تفسير اختلجت بطارت ينبغي إذن تصحيحه بحارت .

ونختم البحث بهذه اللطيفة . وهي ما رواه ابن جني قال : حدّثني المتنبيُّ شاعرنا وما عرفته الا صادقاً . قال : كنتُ عند منصرفي من مصر في جماعةٍ من الأعراب وأحدهم يتحدّث فذكر في كلامه فلاةً واسعة فقال : (يحير فيها الطرف) فقال له آخر من رفاقه يلقنه سراً من الجماعة (يحار يحار) اهـ فأعراب البادية كانوا لعهد المتنبيُّ يفطنون الى ما يقع في كلامهم من الأغلاط . ويتذممون منه . وينبه بعضهم بعضاً اليه .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net